موقفنا من فاجعة الطف

بقلم الاستاذ صبري الربيدي

منذ ثلاثة عشر قرناً وذكرى يوم عاشوراء تتجدد مع الزمان وستبقى كذلك مادامت الفضيلة باقية في قاموس الوجود وسيبقى المسلمون يحتفلون بهذه الذكرى الخالدة في مشارق الارض ومغاربها ويقيمون من اجلها الاحتفالات والمآتم هنا وهناك.

فما من عام يبزغ فيه هلال محرم الحزام الا وتعاودنا ذكريات فاجعة الطف. فنستقبلها بعيون دامية وقلوب مفجوعة ونفوس حزينة تعاودنا بهذه الذكرى فتبعث في النفوس الاسى وتترك فيها لوعة واثرا ممضاً، وتذكرنا بمصرع ابي الاحرار ووقفته في كربلاء وهو يدير الطرف يميناً وشمالا فيلقي على اهل بيته وانصاره نظرة الوداع، وهم من حواليه صرعى على الثرى، وقد تألب الاعداء عليه واحاطوا به من كل صوب ومكان.

تعاودنا هذه الذكرى فيعود الألم يحز في النفوس وتعود معها ذكريات فعلة يزيد، وما ارتكبه من مظالم وموبقات وتصرفات غريبة شاذة، واعمال دنيئة مخجلة يندى لها الجبين وتقشعر لفضاعتها الابدان، تلك الاعمال التي كانت السبب المباشر في بداية نهاية الدولة الاموية والتعجيل في انهيارها وتقويض اركانها وتمزيق اشلائها شر ممزق.

لا احسب ان احدكم يعوزه الالمام بتاريخ القضية الحسينية، وخصوصا فاجعة الطف منها، فقد كانت كما تعلمون صراعا عنيفا بين الحق والباطل.

ومن الوقائع الحاسمة في التأريخ الاسلامي والتي غيرت مجراه وتركت في طيات صفحاته اثرا خالدا لا يمحى، مهما تقادم الزمن ومهما تعاقبت الايام والسنون، ولا شك في انها كانت امتحانا قاسيا لذوي المبادئ من الرجال، ونبراسا تضيء الطريق لذوي النفوس المريضة ممن عميت عيونهم وحادت عن جادة الصواب والتاريخ كما لا يخفى يصف لنا كثيرا من اخبار الابطال والقادة الذين يتميزون عن غيرهم ببطولتهم وبثباتهم وتفانيهم في سبيل المبدأ والواجب، ولكنه لم يروِ لنا أن هناك شخصا لحق به ما لحق بالحسين ع وبأهل بيته وانصاره من آلام وتضحيات. في الوقت الذي لا يبغي فيه مغنما او سلطانا او جاها، ومع ذلك فقد ظل ثابتا في الميدان وقد احاط به سبعون الفا من الرجال، ومن هنا يلاحظ ان الحسين قد طمس بشجاعته وتضحيته وسمو رسالته معالم بطولة من انجبته البشرية ومن ستنجبه في الاجيال المقبلة وهذا ما ينطق به التأريخ نفسه وما لا يختلف في صحته اثنان.

نعم ان روح الحسين قد فاضت وصعدت الى خالقها، ولكن الحسين ذاته لم يمت ولم تندرس ذكراه، كما تندرس ذكرى غيره بموته، فتطوى صفحته ويصبح نسيا منسيا.

بل ان الحسين سيبقى خالدا، وستبقى ذكراه كذلك، مادامت البشرية في الوجود وماهذه الاحتفالات التي يقيمها المسلمون في مثل هذا الشهر والذي يليه من كل عام الا تخليد لهذه الذكرى وتجديدها وتقديس لما تمخضت عنه من مبادئ سامية ومثل عليا. علينا ان نحتفل بهذه الذكرى ونحلها محلها اللائق بها ولكن علينا ان نسبغ عليها لونا من التجديد لتتفق وغاية الحسين منها.

علينا ان نحتفل بهذه الذكرى كل عام فنستلهم منها سمو الغاية وعلو الهمة ونبل المقصد. وان نضع صاحبها نصب اعيننا فنقتدي برسالته ونحذوا اثر خطاه.

علينا ان نشحذ الهمم ونوحد الصفوف ونجمع الكلمة ونكون يدا واحدة لنتمكن من اللحاق بالقافلة ومن مجابهة الصعاب، فالاتحاد قوة والتفرقة وهن، ولا يهاجم الذئب الا الغنم القاصية.

علينا ان نتعاون في حل مشاكلنا ونكران ذاتنا والالتفاف حول قادة الفكر من رجالاتنا، ولا نقر الظالم على ظلمه وان نكون اعزاء النفس لا اذلاء، فنميل أينما مالت المصلحة ونرضخ برضوخ الذليل.

علينا ان نضع المصلحة العامة نصب اعيننا، وان نكون

للشيخ حمادي الكواز الحلي

فلو كان حيّاً نبي الهدى ... محمد كان المعزى به
ولو كنت فاطمة تنظرين ... سلب العدو لأثوابه
خلعت فؤادك للحزن او ... كساك المصاب بجلبابه
فما خلت من قد براه الاله ... في الدهر غوثاً لمنتابه
به الخطب ينشب اظفاره ... ويمضي به حد انيابه
ويبتاً سمى رفعة فاعتدى ... وشهب الهدى دون اطنابه
تخر الملوك له سجداً ... وتهوى الملائك في بابه

كالحسين في مبدئه كالحسين في تضحيته وجهاده ، كالحسين في سمو رسالته ونبل مقصده.

علينا ان ننتصر للحق مهما كان الثمن الذي يتطلبه .

وعلينا كذلك ان نوقف الظالم والمستبد عند حده ولا نكون عونا له في استبداده واستهتاره بالصالح العام .

علينا ان نضع هذه وتلك نصب اعيننا ولا نبقى متمسكين بالبكاء وشق الجيوب ولطم الخدود ليس الا ، وما البكاء في الواقع الا وسيلة من وسائل التنفيس عن النفوس الحزينة ، ولكنه لايجدي نفعاً ولايترك اثرا تنتفع به الامة والوطن كما يرام ، بل يزول بمجرد زوال ذكر المصاب وهذا مالا نريده ابدا .

علينا الى جانب هذه التقاليد التي لابد لنا من التمسك بها واحياء ذكرها ومعالمها ، ان نسبر غور موقف الحسين ع في كربلا ونستعرض رسالته جيدا فنحذوا حذوها ونسير على هداها ؛ ففي رسالته دروس وعبر ما احوجنا الى التمسك بها والاكتشاف من معينها لاسيما ونحن في مثل هذا الظرف العصيب الذي يتطلب التعاون والتآزر والتشاور؛ لا التخاذل والتناحر والعمل على تشتيت الكلمة وتفريق الصفوف ؛ فبهذا وحده نكون قد حققنا رسالة الحسين ع والا فلا ؛ وكلنا امل ان تتظافر جهود المخلصين من رجالاتنا وشبابنا فيعملوا سويا لتحقيقها ونشر مبادئها ؛ فانها منهاج حافل بما نتطلبه وننشده من اهداف .

الكاظمية : صبري الزبيدي

الحرية في وثبة الحسين

سل التاريخ ينبئك ان الحرية عنصر جوهري في حياة الانسان النبيلة والامم الكريمة ، لاتزول ولا تفنى ، ولايمكن ان يتنازل عنها صاحبها ، ليس لانها احد العناصر الخالدة في الحياة فحسب ، بل هي اقوى هذه العناصر واظهرها اثراً ، بل هي العنصر الذي يزداد قوة في النفس الكريمة كلما ازدادت عوامل مقاومتها ، ومن الغريب في امر الحرية انها لا تكون في فترة من الفترات اقوى منها في الفترة التي يخيل الى الناس فيها انها تلاشت ومحيت من النفوس آثارها .

في هذه الفترة ، تجد ان الحرية قد اندفعت ، مما حسبه المارقون المستبدون من قبرها ، قوية هائلة القوة ، تقتلع في طريقها ما يصادفها من عوامل المقاومة والضغط ، بالغة هذه العوامل من الشدة والعنف والقسوة ما بلغت .

وهكذا وثب الزئبال (الحسين بن علي عليه السلام) من مكمنه ذائدا عن حريته فانطلقت الفضائل من عقالها وانبثق نور الحرية والحق وتحطمت اصنام المستبدين الخارجين عن شرعة النبي والدين الحنيف ، وتوارى ظلمهم في تراب الخزي وقضى على انحلال او شك ان يستفحل . .

أجل كان انحلال وكان استبداد ولكن الله تعالى هيأ للمؤمنين بطلا اطلق قذيفته ايذاناً بالانقلاب ، فصدعت اركان الاستبداد والكفر .

وثب الحسين عليه السلام ذائداً عن حريته وثبة مليئة بالهدى تنطوي على اعظم الفضائل البشرية التي لازال معظمها يحتاج الى الكشف عنها وتعرفنا بروحها وبحقيقتها كما تحتاج الى اظهار العالم عليها واطلاعه على حقيقتها وروعتها .

ولو ان قادة الامم المختلفة جردوا انفسهم من الهوى والتعصب فدرسوا شخصية الحسين لاقتنعوا بما فيها من مثل عليا تكفل لهم اسعاد امهم وتقدمها .

ونحن لا نصل الى ما نصبوا اليه من حرية واستقلال وسعادة الا بالسير على النهج الذي انتهجه الحسين في وثبته الخالدة .

قلعة سكر محمد علي الكاتب